## السنة السادسة والأربعون بعد المئة

فيها بنى بغداد وتحوَّل إليها أبو جعفر في صفر، وكتب إلى الآفاق أن تَرِد عليه خطباؤهم وشعراؤهم وعلماؤهم، فكان فيمن قدم عليه من شعراء المدينة:

إبراهيم بن علي بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمَة، أبو إسحاق الفِهري المدني، من الخُلُج، والخُلُج قوم من عَدْوان، ألحقهم عمر بن الخطاب ﷺ بالحارث [بن فِهْر] بن مالك بن النَّضْر بن كنانة[1]، وسمُّوا بذلك لأنهم اختُلِجوا من عَدْوان.

وكان ابن هَرْمَة شاعراً فصيحاً، وهو أحد المخضرمين، أدرك الدولتين بني أمية وبني العباس، وكان يمدح الطالبيين ويحبّهم، ويقدّمهم على بني العباس، وخرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قُتل عاد إلى المدينة فأقام بها إلى أن قدم فيمن قدم على المنصور.

قال ابن هَرْمَة: دخلتُ عليه وأنا خائف منه وقد جلس للناس وبينه وبينهم سِتْر، وقد اجتمع الخطباء والشعراء من كل مصر، وأبو الخَصيب الحاجب قائم عند الستر يقول: يا أمير المؤمنين، هذا فلان الخطيب، ثم يقول: اخطب، وهذا فلان الشاعر، ثم يقول: أنشد، قال ابن هرمة: وكنتُ آخر مَن بقي، فقال الحاجب: يا أمير المؤمنين، هذا ابن هَرْمَة فقال: لا مرحباً به ولا أهلاً، ولا أنعم الله به عيناً، فاسترجعتُ وقلت: ذهبتْ والله نفسي، فقلتُ في نفسي: هذا موقف إن لم أُنشد فيه هلكتُ، فقال أبو الخَصيب: أنشِدْ، فأنشدتُ قصيدتي اللامية، إلى أن قلتُ في مدحه: [من الطويل]

لـه لَـحَـظـات فـي خَـفـاء سَـريـرةٍ ... إذا كَـرَّهـا فـيـهـا عِـقـابٌ ونـائـلُ
فـأمُّ الـذي أمَّـنـتَـه تـأمَـنُ الـرَّدى ... وأُمُّ الـذي حـاولـتَ بـالـثُّـكْـلِ ثـاكِـلُ[2]

فقال: يا غلام، ارفع الستر، ثم قال: أتممها، وقال: ادنُ فدنوت، فجلستُ بين يديه وبيده مِخْصَرة فقال: يا إبراهيم، قد بلغني عنك أشياء ولولاها لفضَّلتُك على

(١) كذا، وفي الأغاني ٤/ ٣٦٧، وسمط اللآلي ص٣٩٨ أن الذي استلحقهم عثمان بن عفان ﷺ. وما بين معكوفين منهما.

(٢) وتقدمت أبيات ابن هرمة في الصفحة ٤١.

نُظرائك، فأقرَّ لي بذنبك أَعْفُ عنك، فقلتُ في نفسي: هذا عالم فقيه يريد أن يقتلني بحجَّة، فقلت: يا أمير المؤمنين، كلُّ ما بلغك مما عفوت عني بسببه فأنا مقرٌّ به، فضربني بالمِخْصَرة وقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم وخِلْعَة، وألحقتُك بنُظرائك مثل: رؤبة، وطريح بن إسماعيل، ولئن بلغني عنك ما أكره قتلتُك، فقلت: إن بلغك ذلك فأنت في حلٍّ من دمي، فقال: إن الزمان ضيِّقٌ بأهله فاشتر بهذه إبلاً عَوامِلَ، وإياك أن تقول: كلما مدحتُ أمير المؤمنين أعطاني مثلها، هيهات والعَودُ إلى مثلها، قال: فقدمت المدينة، فأتاني رجل من الطالبيين فسلَّم علي، فقلت: تنحَّ عني لا تَشِيط بدمي، فقال: ألستَ القائلَ فينا: [من المتقارب]

ومهما أُلام على حُبِّهم ... فإني أُحبُّ بني فاطمهْ
بني بنت من جاء بالمُحْكَما ... تِ والدِّين والسُّنَّة القائمهْ
ولستُ أُبالي بحبِّي لهم ... سِواهم من النَّعَم السَّائمهْ

قال ابن هرمة: فقلت: أعضَّ قائلَها بهَنِ أُمّه، فقال: قد قلتَها، فقال: أعضُّ بهَنِ أمي خير من أن أُقتل.

ودخلتْ يوماً على المنصور جارية وعليه ثوب مَرْقوع فقالت: خليفةٌ يكون عليه ثوب مرقوع؟! فسمعها فقال: وَيحك أما سمعتِ قولَ ابن هَرْمَة: [من الكامل]

إمَّا تَرَيْني شاحباً مُتَبَذِّلاً ... كالسَّيفِ يَخْلَق جَفْنُه فيضيعُ
ولَرُبَّ لَذَّةِ لَيلةٍ قد نِلتُها ... وحَرامُها بحلالها مَدفوعُ
قد يُدرِكُ الشَّرفَ الفتى ورداؤه ... خَلَقٌ وجَيبُ قميصِه مَرقوعُ[1]

وفيها عزل أبو جعفر عبدَ الله بن زياد الحارثيّ[2] عن المدينة، وولَّى جعفرَ بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس.

---

(١) الشعر والشعراء ص٧٥٣، طبقات الشعراء ص٢٠، أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٤٦، تاريخ دمشق ٢/ ٤٧٤، المنتظم ٩/ ٢١ (وفيات سنة ١٧٦)، السير ٦/ ٢٠٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٨٠٩، ديوانه ص١٤٤، ١٦٨، ٢١٤.

(٢) كذا في (ب) و(خ). والصواب: عبد الله بن الربيع. انظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٥٦، والمنتظم ٨/ ٩٦، والكامل ٥/ ٥٧٦.

ولد جعفر بالشراة من أرض البلقاء، ونشأ بها عند أهله، وخرجَ معهم منها إلى الكوفة لَمَّا تولَّى أبو العباس الخلافة، وكان مع أبيه سليمان بالبصرة.

قال الأصمعي: ما رأيتُ أشرفَ نفساً من جعفر، ولا أكرم أخلاقاً.

ركبَ يوم جمعة إلى الجامع ومعه جماعةٌ من الموالي، فمر بأبي سعيد الضبعي، وكان لجعفر جارية تسمى الخيزران يحبُّها، فناداه الضبعي: يا جعفر، أتحبُّ الخيزران، قال: نعم، فقال الضبعي: [من البسيط]

نبئتُها عشقَتْ حشّاً فقلتُ لها ما يعشق الحَشَّ إلَّا كلُّ كنَّاسِ

فضرب جعفر وجه دابته، ومضى مسرعاً حياءً من الناس[١].

وركبَ يوماً في مواليه وحشمه وفُهوده وسُقوره[٢]، فناداه رجل: يا جعفر، انظر أيَّ رجلٍ تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله، وقد خرجتَ من قبرك وحيداً، ولا ينفعكَ هذا الجمع، ولا يغني عنك من الله شيئاً؟ وليسألنَّكَ اللهُ وحدَك، وأنتَ قائمٌ بين يديه وحدَك، فبكى جعفر، ورجعَ من نزهته إلى داره حزيناً كئيباً.

قال المصنف رحمه الله: ولم أقف على تاريخِ وفاة جعفر، إلَّا أنَّ ابن عساكر قال: كان حياً إلى سنة أربع وأربعين ومئة[٣].

وفيها عزل أبو جعفر عن البصرة سلم بن قتيبة، وسببُه أنه كتب إليه يقول: اهدم دورَ من خرج مع إبراهيم، واعقر نخيلَهم، فرقَّ عليهم، وكتبَ إليه يسألُه فيهم، فكتب إليه: افعل ما تؤمر، فكتب إليه سلم: بأيِّ ذلك أبدأ، بالدور أم بالنخل؟ فغضبَ أبو جعفر وكتب إليه: لو كتبت إليك آمرك بإفساد تمرهم لكتبت: بماذا أبدأ بالبرنيّ أم بالشهريز؟ فعزلَه وولى محمد بن سليمان، فعاث في البصرة.

وكانت ولاية سلم عليها شهوراً، وهدم محمدٌ دوراً كثيرة، وحرقَ نخلاً، من ذلك

---

(١) انظر عقلاء المجانين ص٩٢.

(٢) السقر: الصقر. انظر القاموس (سقر).

(٣) كذا، وفي مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٦٢: سنة أربع وسبعين ومئة.

دار يعقوب بن الفضل[١] ، وعون بن مالك، وأبي مروان، وعبد الواحد بن زياد، والخليل بن الحصين، وغيرهم.

ثمَّ عزل أبو جعفر محمد بن سليمان عن البصرة، وولَّاها محمد بن أبي العباس[٢]. وعزل عيسى بن موسى عن الكوفة وولَّاه البصرة في جمادى الأولى هذه، وولى الكوفة محمد بن سليمان الذي عاث بالبصرة.

وغزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانيّ.

ودخلت الخزر إلى تفليس، وفيها جبريل[٣] بن يحيى، فهزموه وقتلُوا من المسلمين خلقاً كثيراً.

وحجَّ بالناس عبدُ الوهاب بن إبراهيم الإمام.

## رياح بن عمرو

أبو المهاصر القيسي، كان من الخائفين المتعبدين.

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسيّ قرابة رياح: كنتُ إذا دخلت عليه المسجدَ أراه يبكي، وإذا دخلت عليه البيت أراه وهو يبكي، ورأيته في الجبَّان وهو يبكي، فقلت له يوماً: أنت دهرَك في مأتم وبكاء، ثم قال: يحقُّ لأهل المصائب والذنوب أنْ يكونوا كذا.

وقال رياح: لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت لكلِّ ذنب مئة ألف مرة.

وجاء رياح بعد العصر يسأل عن ضيغم، فقيل: هو نائم، فقال: أنومٌ في هذه الساعة؟ ثم ولَّى. قال مالك بن ضيغم: فأتبعناه رسولاً وقلنا: ألا نوقظه لك؟ فغاب الرسول حتى غربت الشمس، ثم رجع، فقلنا له: أبطأت! فقال: هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئاً، أدركتُه وهو يدخل المقابر، وهو يعاتبُ نفسه ويقول: قلت: نومٌ هذه الساعة؟ ينامُ الرجل متى شاء، وما عليك من هذا، تسألين عما لا يعنيكِ، لله عليَّ أن

(١) في (ب) و(خ): المفضل. والتصويب من تاريخ الطبري ٧/ ١٩١، وسيأتي الكلام عنه في أحداث ١٦٩ هـ.

(٢) في المنتظم ٨/ ٩٦ : محمد بن العباس.

(٣) تحرفت في (ب) و(خ) إلى حرملة. وانظر المنتظم ٨/ ٩٦.

لا أوسِّدَك الأرضَ سنة إلَّا من عذر، وجعل يوبِّخُها ولا يعلمُ بمكاني، فانصرفتُ وتركتُه.

وكان رياح إذا صلى على البواري يُسمَع لدموعه عليها وقعٌ كوقعِ المطر: طَقْ طَقْ.

وربما وُجد في بعض سكك المدينة مغشياً عليه من الخوف.

وكان له مِسْحٌ من شَعر، وغُلٌّ من حديد، فكان إذا جنَّهُ الليلُ لبس المسح وجعل الغُلَّ في عنقه، وبكى وتضرَّع إلى الصبح.

وقال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح وخرج بي إلى المقابر وقال: تعال حتى نبكي على ممرِّ الساعات ونحن على هذه الحال، ثم صرخَ ووقعَ مغشيًّا عليه، ثم أفاقَ وهو يقول: وانفسَاه وانفسَاه، ثمَّ قال: لنفسك فابك، ثم قام من غشيته وهو يقول: «تلك إذاً كرة خاسرة» فلم يلبث إلَّا أيَّاماً حتى مات، وكانت وفاته في هذه السنة.

أسند عن حسان بن أبي سنان وطبقته، وشغله التعبُّد والخوفُ والبكاءُ عن الرواية[1].

## ضيغم بن مالك العابد

كان من الخائفين البكائين المحزونين، وهو من الطبقة الخامسة من أهل البصرة، كان وِردهُ في كلِّ يوم أربع مئة ركعة، وكان يركعُ حتى لا يقدر أن يسجد، ثمَّ يرفعُ رأسه إلى السماء ويقول: قرَّةَ عيني، كيف عزفت قلوبُ الخليقة عنك؟!

وقال أبو أيوب مولى ضيغم: سمعته يقول: إلهي، لو أعلمُ أن رضاكَ في قرضِ لحمي لقرضته بالمقاريض.

وقال مالك بن ضيغم: قالت أم ضيغم له يوماً: ضيغم، قال لها: لبيك يا أماه، قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟ فصاح صيحة لم يُسمع صاح مثلَها قطّ، وسقط مغشيًّا عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت وأمي، ما نستطيعُ أن نذكرَ بين يديك شيئاً من أمر ربك.

---

(١) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٦/ ١٩٢، والمنتظم ٨/ ٩٧، وصفة الصفوة ٣/ ٣٦٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٤.

وقالت له: ضيغم، قال: لبيك، قالت: أتحبُّ الموت؟ قال: نعم، قالت: ولم؟ قال: رجاء خير ما عند الله، فبكت العجوز وبكى، وتسامع أهلُ الدار، فجلسوا يبكون لبكائهم.

وقالت له يوماً آخر: ضيغم، قال: لبيك يا أمَّاه، قالت: أتحبُّ الموت؟ قال: لا، قالت: ولم؟ قال لكثرةِ تفريطي وغفلتي عن نفسي، فبكت العجوز وبكى ضيغم، وبكى أهلُ الدار.

وقال رجلٌ لأمِّ ضيغم: ما أطولَ حزن ضيغم! فبكت وقالت: لمثل ما نُدِبَ إليه فليحزن، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن، وهل رأيتَ محزوناً قط؟

وكان لا يشربُ الماءَ البارد، فقيل له في ذلك، فقال: حَانتْ منِّي نظرةٌ إلى امرأة، فجعلتُ على نفسي ألَّا أذوقَ الماء البارد أيَّام الدنيا، أنغِّصُ عليها الحياة، وكان ينشد: [من الكامل]

قد يَخزُنُ الورعُ التقيُّ لسانَه ... حذرَ الكلامِ وإنَّه لمفوَّهُ

وكانت وفاته في هذه السنة رحمة الله تعالى عليه[1].

## عمرو بن قيس المُلَائي

من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان من الأبدال، وكان يقول: حديثٌ أرقِّقُ به قلبي وأبلغُ به إلى ربِّي أحبُّ إليَّ من خمسين قضيةً من قضايا شريح.

وكان سفيان الثوري يقعُد بين يديه ينظرُ إليه، لا يكاد يَصرِفُ بصرَه عنه. وكان يصوم الدهر ولا يعلم به أحد.

ولَمَّا احتُضر بكى، فقال له أصحابه: علامَ تبكي؟ فلقد كنتَ والله منغِّصَ العيشِ أيَّام حياتك، فقال: والله ما أبكي على الدنيا، وإنَّما أبكي خوفاً أن أحرم خير الآخرة[2].

وقال سفيان الثوري: عمرو بن قيس هو الذي أدبني، علَّمني قراءةَ القرآن

---

(١) وكذا أورده ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٩٨ في وفيات هذه السنة. وقال الذهبي في السير ٨/ ٤٢١، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٧٤ : توفي سنة ثمانين ومئة. والله أعلم.
وانظر ترجمته أيضاً في صفة الصفوة ٣/ ٣٥٧.

(٢) في صفة الصفوة ٣/ ١٢٥ : خوف الآخرة.

والفرائض، فكنت أطلبُه في سوقه، فإن لم أجدهُ وجدتُه في بيته، إمَّا يصلِّي، وإمَّا يقرأُ القرآن، فإن لم أجدهُ في بيته وجدتُه في المسجد في زاوية كأنَّه سارقٌ يبكي، فإن لم أجده في المسجد وجدتُه في المقابر قاعداً ينوح ويبكي على نفسه، فلمَّا مات عمرو أغلق أهل الكوفة حوانيتهم وخرجوا بجنازته إلى الجبَّان، وكان قد أوصى أن يصلِّي عليه أبو حيان التيميّ، فتقدَّم أبو حيَّان وكبَّر أربعاً، وسمعوا صائحاً يصيح: قد جاء المحسِن عمرو بن قيس، وإذا البرِّيَّةُ مملوءةٌ من طير أبيض لم يُر على خِلقتها وحسنها، وجعل الناس يتعجَّبون منها، فقال أبو حيان: من أيِّ شيءٍ تتعجبون؟ هذه ملائكةٌ جاءت فشهدت عَمراً.

وقال الخطيب: لما مات عَمرو رأوا البرِّيَّةَ مملوءةً رجالاً عليهم ثيابٌ بيض، فلمَّا صُلِّيَ عليه ودفن لم يُرَ في الصحراء أحد، وبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى: ما مَنعكُما أن تذكُرا لي هذا الرجل؟ فقالا: قد كان يسألنا أن لا نذكُره لك[1].

وتوفي بالكوفة، وقيل: بالشام، وقيل: ببغداد، وقيل: بسجستان.

سمع عكرمة، وأبا إسحاق السبيعي، وعطاء، ومحمد بن المنكدر، وروى عنه سفيان الثوري وغيرُه، وكان صدوقاً ثقةً سيداً خائفاً ورعاً[2].

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٥/ ١٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٠، والمنتظم ٨/ ٩٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٠، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٩.